عناصر السكان في إقليمي برقة وطرابلس (من ق 5 هـ - 7 هـ)

د . على محمد سميو

يعتبر سكان إقليمي برقة وطرابلس خليطًا متنوعا من الأجناس، شأنه شأن المناطق العربية الأخرى، وهو ما نستشفه من كتابات ونصوص الجغرافيين والرحالة، وكذلك المؤرخين وكتب الأنساب. ويمثل الأمازيغ والعرب السواد الأعظم من السكان المحليين في الإقليمين، فضلاً عن وجود أقليات أخرى من الروم، والأفارقة، واليهود، والسودانيين.

أولا– الأمازيغ :

يعتبر الأمازيغ من أقدم الأمم التي عرفها التاريخ في بلاد المغرب، وقد قام الكتاب العرب بتفسير لفظة بربر[1]، فعددوا كثيراً من الآراء يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولهما: تفسير كلمة بربر تفسيراً لغوياً؛ لأن لغة القوم فيها رطانة أعجمية، تختلط فيها الأصوات التي لا تُفهم، فقيل لهم: "ما أكثر بربرتكم"، كما يقال: بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة[2].

(1) التسمية القديمة لهم أمازيغ، ومعناها الرجل الخشن الحر، إما كلمة بربر التي اطلقت على سكان المغرب فهي كلمة دخيلة اطلقها عليهم من غلبهم من الامم كالفينيقيين والرومان والعرب= احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية (بيروت، 1972م) ص 222، كذلك: عطا على محمد ريه، تاريخ المغرب الاسلامي، ص 10، ويذكر بعض الباحثين أن كلمة بربر Barbaricum أطلقت في الشمال الافريقي على كل من ليس بروماني ولا بيوناني ، بل على كل الشعوب التي ليست خاضعة لهم = محمد مصطفى بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية ، ص 92، محمد مصباح الأحمر، أفريقيا والعرب، ص86.

(2) ابن خلدون ، العبر، 89/6، كذلك: محمود شيت الخطاب، قادة فتح المغرب العربي، 15/1، شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، ص 45.

أما التفسير الثاني: فتفسير كلمة بربر بحسب عادة العرب في تقسيم الشعوب على حسب المتعارف عندهم في الأنساب[1].

وقد وقع اختلاف بين الجغرافيين والمؤرخين والنسابة حول الموطن الأصلي للبربر؛ فابن خرداذبة يقول: "... وكانت دار البربر فلسطين، وملكها جالوت[2]، فلما قتله داود– عليه السلام– جلت البربر إلى المغرب، حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية، فتفرقت هناك..."[3]، ويذكر القزويني في حديثه عن بلاد البربر أنها: "... بلاد واسعة من برقة إلى آخر بلاد المغرب والبحر المحيط، سكانها أمة عظيمة، يقال: إنهم من بقايا قوم جالوت، لما قتل هرب من الفنيقيين قومه إلى المغرب، فحصلوا في جبالها..."[4].

أما التجاني فيؤكد ما ذكره كل من ابن خرداذبة والقزويني في كون أن أرض فلسطين هي بلاد البربر، وفي ذلك يقول: "... وبلاد البربر إنما كانت أرض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام، وكان ملكهم جالوت المذكور في القرآن الكريم، فلما قتله داود– عليه السلام– تفرقوا في البلاد، وتوجه أكثرهم إلى أفريقية وبلاد المغرب، وكانت أفريقية للروم، فأجلتهم العرب البرابر عنها إلى جزائر البحر كصقلية وغيرها، ثم تراجعت الروم إلى بلادها مع موادعة وصلح مع البربر، فاختارت البربر سكن الجبال والرمال وأطراف البلاد، وصارت الروم إلى البلدان والعمائر، حتى جاء الإسلام وافتتحت البلاد، ففر جميع من فيها إلا من أسلم أو أدى الجزية..."[5].

أما المراكشي فإنه يؤكد ما ذكره الطبري في تاريخه، إذ يقول في مجمل حديثه عن أفريقية: "... وسميت أفريقية بذلك لنزول أفريقش من ولد حام بن نوح بها، وإفريقش هذا هو أبو البربر، فالبربر كلهم من ولد حام بن نوح، خلا صنهاجة، فإنهم يرجعون إلى حمير..."[6].

(1) عبد الحميد حسين حمودة ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص 16، كذلك : ابو القاسم محمد كرو، عبدالله شرميط، عصر القيروان،ص ص 10-11.

(2) يقول التجاني: " واسم جالوت ضريس وهو ضريس بن الأصغر بن نقزاو، ومن نقزاو تفرعت زناتة كلها وهم في الأصل عرب، وإنما تبربروا بمجاورتهم للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم. الرحلة، ص 143.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 90-91.

(4) القزويني، آثار البلاد، ص 163.

(5) التجاني، الرحلة، ص 160.

(6) المراكشي، المعجب في أخبار المغرب، ص 250.

ويتفق بعض المؤرخين على أن أصول البربر ترجع إلى فلسطين في بلاد الشام، حيث ذكر ابن عبد الحكم قوله: "... وكان البربر بفلسطين، وكان ملكهم جالوت، فلما قتله داود- عليه السلام- خرج البربر متوجهين إلى المغرب..."[(1)].

أما ابن حزم الأندلسي فيذكر روايات مغايرة حول أصولهم إذ يقول :"... إنهم من بقايا ولد حام بن نوح- عليه السلام-، وادعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان"[(2)].

ونجد ابن حزم ينكر نسبهم إلى عيلان بقوله:"... وهذا باطل لا شك فيه، وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه: بر أصلاً، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن..."[(3)].

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن أصول البربر جميعًا من اليمن، وأنهم من أبناء النعمان بن حمير بن سبأ، وقد رجح ابن خلدون رأي الطبري القائل بأن أهلهم من بلاد كنعان[(4)]، وحاول بعضهم التوفيق بين هذه الروايات- على الرغم من تعددها- فقال: إنهم من أصول متعددة حميرية، ومضرية، وقبطية، وعماليق، وكنعانية، وقريشية، اجتمعت في بلاد الشام، ومنها انطلقت نحو المغرب العربي[(5)].

وقد اهتم العديد من المستشرقين بدراسة أصول البربر وموطنهم الأول، فهذا لوبلان يقول:"... إن البربر نتاج ثبت منذ زمن بعيد، ويمكن إدراكه لدى بعض الجماعات الواضحة العرقية، فقولٌ: إنهم نتاج لتقاطع بين شعوب قادمة من أوربا وآسيا في عصور مختلفة كل الاختلاف، والأساس الأول يمكن أن يعزى إلى هجرات تمت في عصر ما قبل التاريخ، هجرات متتالية لناس طوال الجماجم وعراضها..."[(6)].

أما المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون فإنه قد ذكر رأياً أقرب إلى سمة البحث العلمي، وذلك بعد أن أشار إلى أن البربر قد تدفقوا في هجرات قديمة إلى بلاد المغرب، وقال عن موطن البربر الأصلي والطريق التي سلكوها إلى هذه البلاد ما نصه: "... ويمكننا أن نأتي بافتراضات معقولة عن الأمكنة التي صدرت

---

(1) ابن عبد الحكم ، فتوح أفريقية والأندلس، ص ص 27-29 ، كذلك: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأفريقية، ص 170، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص 44، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 13/3.

(2) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص 495.

(3) نفسه، ص 495.

(4) ابن خلدون، العبر، 6/ 93.

(5) سعد زغلول، المغرب العربي، 82/1، وكذلك : جرجي زيدان، طبقات الأمم، دار التراث (بيروت ، 1969م)، ص 228.

(6) حسن على حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1980) ص ص 292- 293، كذلك : سعد زغلول، المغرب العربي، 85/1.

عنها تلك الهجرة، فنقول: إن أولئك المهاجرين لم يأتوا من الجنوب الذي لا يرى فيه غير الزنوج، ولا من الشمال الذي لم يكن إلا بحراً خضماً لم يفكر الأقدمون في عبوره، وإنما جاء أولئك المهاجرون من الشرق، أي من آسيا، مارين من الأرض الضيقة التي تصلها بإفريقيا، أو جاءوا من الغرب أي من مضيق جبل طارق"(1)، ويبدو أنني أميل في الرأي إلى ما ذكره المؤرخ التونسي الحديث عثمان الكعاك في أن معظم الباحثين يذهبون إلى أن البربر من أصل سامي، أي: من أبناء سام بن نوح، أي: يرجعون إلى جنوب الجزيرة العربية، ذلك أنه لما جفت الأرض وقحطت هاجروا بأعداد كبيرة نحو شمال أفريقيا، واستوطنوا في تلك المناطق خلال تلك الفترة"(2).

وخلاصة الأمر أن البربر شعب قديم، وأقدم ما نعرفه عنه أنه يسكن الشمال الأفريقي، وهم أمة عظيمة كثيرة العدد، تعرضت سواحل بلادهم لغزو خارجي عدة مرات، حتى جاء الإسلام فصهرهم في بوتقته، ونقلهم نقلة كبيرة في مجال الحضارة، وظهرت فيهم دول وملوك وعلماء ومفكرون، وأصبح لهم دور بارز في الحضارة الإنسانية.

وعلى الرغم من تعدد الآراء والاختلافات في موطن البربر الأول وأصولهم(3)، إلا أن هناك إجماعا بين الجغرافيين والرحالة والمؤرخين والنسابة على تقسيم البربر إلى قسمين، أو إلى فرعين رئيسين، هما:

البرانس(4): وهم البربر المستقرون، وبخاصة في الشمال، ويعيشون على الزراعة، وينحدرون من رجل اسمه برنس بن بر بن قيس عيلان.

البتر(5): وهم البربر الرحل، سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والتنقل، وينحدرون من نفس السلالة إلى أخ برنس مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان الملقب بالأبتر(6).

---

(1) غوستاف لوبان، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط2، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (القاهرة) ص 244.

(2) عثمان الكعاك، البربر، ضمن سلسلة كتاب البعث رقم (5) (تونس ، 1956م) ص 65.

(3) لمعرفة المزيد عن البربر ينظر: محمد مختار العرباري، البربر عرب قدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، (القاهرة، 1993م)، ص 277– 300، كذلك: الهادي الزريبي، اصول البربر العربية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، (صفاقس، 1989م).

(4) الكرخي، المسالك والممالك، ص 36.

(5) نفسه .

(6) محمود شيت الخطاب، المرجع السابق، 16/1، كذلك : أحمد العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 223، عبد الحميد حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 17.

وقد حاول بعض الباحثين إعطاء تفسير لهذا التقسيم؛ اعتماداً على نمط العيش، فالبرانس في نظرهم مستقرون أهل حضارة، والبتر رحالة أهل بادية، بينما بنى آخرون هذا التقسيم على أساس ثقافي، إذ تأثر البرانس المستقرون بمظاهر الحضارة الرومانية، في الوقت الذي ظلت فيه قبائل البتر بمعزل عنها لبداوتها وترحالها المستمر(1)، كما أعطى أحد الباحثين تفسيراً لغويا طريفا لكلمتي برانس وبتر، أورده بعض المستشرقين الفرنسيين الذين عنوا بتاريخ البربر حديثاً، وهو أن البرانس جمع برنس وهو اللباس القومي المعروف عند المغاربة، فالبرانس هم الذين يلبسون هذا الزى (البرنس) كاملا، أي: بغطاء الرأس، أما البتر فهم الذين يلبسون هذا الزى أبتر، أو ناقصا دون غطاء الرأس، ولهذا سموا بتراً (جمع أبتر)، أي: بمعنى قصير وناقص(2).

ويقسم النسابون والمؤرخون هذين الفرعين إلى قبائل متعددة(3)، فالبرانس عشر قبائل كبرى وهي: ازداجة، مصمودة، أوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة(4)، أوريغة أو هوارة، لمطة، هسكورة ، كزولة، أما البتر فهي أربع عائلات: آداسة، نفوسة، ضريسة، لواته، ومن هذه الأصول تتفرع العديد من القبائل التي سكنت إقليمي برقة وطرابلس(5).

ومن خلال كتابات الجغرافيين والرحالة يبدو واضحا أن البربر يمثلون الغالبية العظمى من سكان برقة وطرابلس، خاصة قبل منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فيذكر اليعقوبي في حديثه عن وادي مخيل بأنه: "... منزل فيه أخلاط من الناس، وأكثرهم البربر من ماصلة، وزنارة ومصعوبة، ومراوة، وفطيطة"، وذكر أن المنطقة "... من وادي مخيل إلى مدينة برقة ثلاث مراحل في ديار البربر من مراوة، ومفرطة، ومصعوبة، وركودة، وغيرهم من بطون لواته..."(6)، كما تحدث عن مدن

(1) عبد الوهاب بن منصور، قبائل العرب، المطبعة الملكية، (1968م) 293/1.

(2) أحمد العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 224- 225.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 91.

(4) صنهاجة: هناك صنهاجة الشمال في المغرب الأدنى والأوسط، وصنهاجة الجنوب، ومن أهم قبائلها: لمتونة، وجدالة، ومسوقة، ولمطة، وجزولة، وصنهاجة الجنوب هم امتداد لصنهاجة الشمال، ولكنهم كانوا يختلفون عنهم في أنهم كانوا يتلثمون، ولهذا سموا بالملثمين، ولقد حدثت انتفاضة دينية إصلاحية في ديارهم في أوائل القرن الخامس الهجري، فسموا أنفسهم ب(المرابطين)، بمعنى (المجاهدين). أحمد العبادي، المرجع السابق، ص ص 224 -226.

(5) إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، تعريب: حسن الهادي بن يونس، منشورات مركز جهاد الليبيين (طرابلس،1997م)، ص 14-15. ولمعرفة المزيد عن قبائل البربر ومناطق سكنها في المغرب العربي ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع 176/1. ابن خلدون، المقدمة ، ص 41، كذلك : العبر، 89/6 – 102. ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ص 495 – 502.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص 180.

إقليم برقة وقال:"....بأن مدينة برنيق بها قوم من البربر من تحلاله، وسوة، ومسوسة، ومفاغة، وواهلة، وجداله...، وأن مدينة أجدابية أهلها قوم من البربر من زنارة، وواهلة، ومسوقة، وسوة، وتحلاله وغيرهم...، وجدالة وهم الغالبون عليها، وهي آخر ديار لواته[1]، من المدن..."[2]. ويقول ابن خرداذبة عن البربر عقب خروجهم من فلسطين: "... بأنهم انتهو إلى لوبية، ومراقية، فتفرقت هناك، فنزلت زناتة، ومغيلة، وضبية، وفرسنة الجبال، ونزلت لواته أرض برقة، "ونزلت هوارة مدينة أياس (طرابلس حاليا)، وكانت الروم فجلت الروم إلى صقلية..."[3]، ومما يؤكد وجود البربر بكثرة في إقليم برقة ما ذكره الكرخي في حديثه عن مدينة برقة، إذ يقول: "... ويطيف بها من كل جانب بادية يسكنها طوائف من البربر..."[4]، وقال ابن حوقل– أيضًا– إن برقة: "... يطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر، وإليها مدينة أجدابية... يطيف بها من أحياء البربر خلق كثير...، وسُرت بها قبائل من البربر...، وعدد البربر بها أكثر منه بما جاورها، وللبربر حاضرة بنفس قصبة سُرت، وبينهم خلاف على مرّ الأوقات..."[5]، كما يحدثنا ابن رسته عن البربر وانتشارهم في إقليم برقة بقوله: "... ومن أجدابية إلى سُرت على ساحل البحر خمس مراحل، منها من ديار لواته، وفيهم قوم من مزانة، وهم الغالبون عليها، منها الفاروج، وقصر العطش، واليهودية، وقصر العبادي، ومدينة سُرت، وأهل هذه المنازل وأهل مدينة سُرت من مناداسة، ومحنحا، وفنطاس، وغيرهم، وآخر منازلهم على مرحلتين من مدينة سُرت، بموضع يقال له تورغة..."[6].

ويتفق المؤرخون مع ما ذكره الجغرافيون والرحالة في كون إقليمي برقة وطرابلس كانا من المناطق التي لجأ إليها البربر عقب خروجهم من فلسطين، كما يجمعون على انتشارهم بكثرة في منطقة المغرب العربي، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم: "...خرج البربر متوجهين إلى المغرب، حتى انتهوا إلى لوبية، ومراقية، وهما كورتان من كور مصر الغربية...، فتفرقوا هناك، فتقدمت زناته ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواته فسكنت أرض أنطابلس (المرج حاليا)، وتفرقت في هذا المغرب، وانتشروا فيه حتى بلغوا

(1) لواته: هم لواته بن بر بن قيس عيلان، وبعضهم يقول: إنهم قوم من لخم، كان أولهم من أهل الشام، فتقلوا إلى هذه الديار، وبعضهم يقول: إنهم من الروم. اليعقوبي، المصدر السابق، ص 182.

(2) المصدر نفسه: ص 181 – 182.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 90-91.

(4) الكرخي، المسالك والممالك، ص 33.

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 69-71.

(6) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 344.

السوس، ونزلت هواره مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت (صبراتة حاليا)، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك..."[1]، ويقول البلاذري: إن عمرو بن العاص عندما افتتح برقة اشترط على أهلها الجزية وهم من برابرة لواته[2]، ويذكر اليعقوبي في تاريخه أن البربر عقب خروجهم نحو المغرب "...جازوا أرض برقة، وأخذوا البلاد، فغلب كل قوم منهم على بلد، فأول من ملك منهم لواته في أرض أجدابية، وملكت مزاته في أرض ودان، وجاز قوم منهم إلى بلد طرابلس، يقال لهم: المصالين، وجاز قوم إلى غربي طرابلس، يقال لهم: وهيلة..."[3].

ومما سبق من نصوص، يبدو واضحًا أن البربر ظهروا في إقليمي برقة وطرابلس خلال الفترة قبل منتصف القرن الخامس الهجري، على شكل مجموعات قبلية منتشرة في مناطق متفرقة في الإقليمين، ولكن ما أن دخلت القبائل العربية من بني هلال، وبني سليم، على شكل موجات متعددة إلى المنطقة، حتى بدأت القبائل البربرية تتراجع وتنحصر في مناطق معينة، كما أن الخراب الذي حل بالمنطقة عقب اجتياح هذه القبائل، جعل العديد من القبائل البربرية تنطوي تحت لواء العرب، إلى درجة أن بعضها انخرط مع العرب، واندمج في ثقافتهم، وأصبح يتكلم لغتهم، كما أن بعضهم منهم أرجع أصوله إلى بعض القبائل العربية[4].

وقد تحدث العديد من الجغرافيين والرحالة عن البربر خلال هذه الفترة، وأماكن وجودهم، فذكر البكري في قوله: "... وحول مدينة برقة قبائل من لواته..."[5]، وذكر أن مدينة أجدابية بها نبد من صرحاء لواته[6]، وقال بأن زلهى يسكنها مزاته[7]، كما تحدث الحميري عن هذه المدينة بقوله: "... فيها أخلاط من البربر من هوارة، وفي أهلها مروءة..."[8]، ويقول البكري في وصفه للطريق التي بين

(1) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقية والأندلس؛ ص ص 27–29 كذلك: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص170.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 137.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 190/1.

(4) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 346، كذلك: الإدريسي، نزهة المشتاق، 309/1.

(5) البكري، المسالك والممالك، 650/2.

وقبائل لواته فرعين: نفزواة وهي قبائل عدة منها مكلاته وبنو يصليتن ولهاسة ورفجومة وزجالة وزاتيمة وسوماته، والفرع الثاني: لواته ومن قبائلها: سدراته، مزاته، زنارة، وبنو سعادة، وبنو زائد، والفرع الثاني هم سكان برقة ومنهم بنو مكي الذين كانوا أمراء قابس مع عهد الحفصيين. إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، ص 19.

(6) البكري , المصدر السابق , 651/2.

(7) نفسه ، 658/2.

(8) الحميري، الروض المعطار، ص 268.

أطرابلس وودان: إن هناك منازل لقبيلة هوارة، تمتد نحو الجنوب[1]، كما ذكر في معجمه بأن مدينة ودان مدينة في بلاد البربر[2]، ويقول صاحب كتاب الاستبصار عند حديثه عن سُرت: "فمن مدينة الإسكندرية على الساحل عمائر كثيرة للعرب والقبائل من البربر، سكنوا في تلك الأحياء إلى مدينة سُرت..."[3]، ويذكر أن أجدابية بها نبذ من صرحاء لواته، كما تحدث عن وجود قبائل من البربر في جبل نفوسة، وذكر أهالي مدينة غدامس بأنهم "... بربر مسلمون، لا يلثمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوّقة وغيرها..."[4].

ويقول الزهري: إن المنطقة من "...جبال برقة إلى جبال نفوسة، يسكن فيها قبائل البربر، مثل: صنهاجة، وبرغواطة، وزناته..."[5]، وهو ما يؤكد وجود البربر في برقة وطرابلس على الرغم من الهجرات العديدة للقبائل العربية من بني هلال وبني سُليم. وهو مازاده الإدريسي– تأكيداً– أثناء حديثه عن العديد من مدن برقة وطرابلس، ففي حديثه عن مدينة سرت قال: "... إن عليها قبائل من البربر، كما تحدث عن أجدابية وقال بأنها يطوف بها من أحياء البربر خلق كثير... وقال عن جبل نفوسة: "... وفي أطراف هذا الجبل قوم من البربر يسمونه رهانه..."[6]. ويحدثنا الإدريسي عن سويقة بن مثكود (الدافنية حاليا) بقوله: "... ويسكن حولها وبها قبائل من هوارة، برابر تحت طاعة العرب..."[7]، وقال عن مدينة زالة (زلة حاليا): إن بها أخلاط من البربر من هوارة..."[8]، وفي حديثه عن المنطقة من قافز إلى طلميثة إلى لك ذكر أنها "...لقبيلة من البربر متعربين، يقال لهم: مزاتة، وزناته، وفزارة، وهم يركبون الخيول..."[9]، ويؤكد ياقوت الحموي ما ذكره سابقيه على أن القبائل البربرية على الرغم من وجود

(1) البكري، المسالك والممالك، 660/2، كذلك: الحميري، الروض المعطار، ص 508.
(2) البكري، معجم ما استعجم، 1375/2.
(3) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 109.
(4) المصدر نفسه: ص ص 144–145، ونقل عنه ذلك كل من أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 147، الحميري، المصدر السابق، ص 12،ص 427.
(5) الزهري، كتاب الجغرافية، ص 107.
(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، 297/1 –299.
(7) المصدر نفسه، 309/1.
(8) المصدر نفسه، 312/1.
(9) المصدر السابق، 313/1

قبائل العرب وانتشارها بصورة كبيرة مازالوا موجودين في المنطقة، وفي أماكن متفرقة، فذكر في حديثه عن أجدابية بأن بها "...نبذ من صرحاء لواته..."(1).

وقال عن برقة: تحيط بها البرابر من كل جانب(2)، وذكر مدينة غدامس بأن أهلها بربر، يقال لهم: تناوريه(3)، كما تحدث عن وجود قبائل هوارة في المنطقة التي بين طرابلس وودان(4)، أما ابن سعيد فيذكر أن المنطقة الممتدة من أجدابيا إلى الفيوم مجالات عرب وبرابر متفرقة، كما يحدثنا عن بطون البربر المنتشرة على ساحل البحر فيقول: "... وبعد لبدة يأخذ البحر في الدخول إلى الجنوب، وعلى ساحله هنالك عمائر لبطون من هوارة تحت حفاوة دياب...، وفي آخر صعود البحر إلى الجنوب يكون قصر أحمد، وفي عرضه قصور مسراتة، وأهلها من هوارة تحت حفاوة دياب..."(5)، وهو ما يؤكد ما ذكره الإدريسي، على أن هناك العديد من القبائل البربرية ظلت متمسكة بمناطق سكناها في برقة وطرابلس- هوارة مثلا- ولكنها ظلت تحت حماية القبائل العربية. ويشير ابن سعيد في كتابه المغرب إلى أن لواته تقدمت فسكنت أرض أنطابلس(6)، ويصف القزويني أهالي مدينة غدامس بأنهم بربر مسلمون صالحون، كما ذكر بأن مدينة ودان حواليها قبائل من البربر يتعبدون ويتقربون إلى صنم من حجارة(7). ويذكر العبدري أثناء مروره بإقليم طرابلس قريتين يسكنهما البربر، هما زوارة(8)، وزواغة(9)، وتحدث عن هؤلاء باستنكار فقال: "ومنها إلى قريتي زوارة وزواغة، ذوي الأنفس الخبيثة، والقلوب الرواغة، معتقدات شنيعة، وأعمال كسراب بقيعة، ومذاهب سوء ردية، وضمائر شر عم منهم كل طوية، إن استنام إليهم

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1.
(2) المصدر نفسه، 276/1.
(3) المصدر السابق، 25/4.
(4) المصدر السابق، 365/5-366.
(5) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، ص 128،ص 146، كذلك ابن سعيد، بسط الأرض، ص 62،ص ص 79-80.
(6) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ص 44.
(7) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 57،ص 280.
(8) زوارة: اختلف في شأنها، فعدها نسابة البربر من فرع البتر من بطون ضريسة وعدها ابن حزم وابن خلدون في كتامه من فرع البرانس. محمد العرباري، البربر عرب قدامى، ص 285.
(9) زواغة: هم من البربر البتر وهم أوزاع في القبائل ومنهم جماعة بنواحي طرابلس، ومدينة زواغة مازالت تعرف بهذا الاسم وهي غربي صبراته بنحو 10 كم وقد خربت ولم يبق منها إلا أطلالها، ويسكن تلك الجهة الآن جماعات من العرب. الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 22.

حاج لم يوقظه إلا برد ماء التقديس..."[1]، وهذا ما يؤكده التجاني عند مروره بهذه المنطقة فيقول: "... ومن هذه القرية- الزارات- كان الابتداء بسلوك منازل البربر المستمسكين بمذهب الخوارج[2]، المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم، وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس وطرابلس، وخصوصًا أهل الساحل منهم..."[3]، وقد تحدث التجاني عن وجود البربر في إقليم طرابلس في مواضع عدة من رحلته فذكر: "...وانتهى السير بنا إلى قصر المحرس...، وأهله قوم من هوارة [4]، كما مر التجاني بموضع آخر اسمه نفزاوة[5]، وقال عنه: "... اسم نقل إلى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في أول الدهر"[6]، كما تحدث التجاني عن قرية ولول وقال: "... وسميت بذلك لأن أقوامًا من البربر يعرفون ببني ولول نزلوا بها...، ومن ولول إلى موضع آخر يعرف بتليل[7]، وأهله برابر نكاره، موصوفون بخبث..."[8]، وذكر التجاني زنزور وقال إن "... أهلها قوم من البربر هواريون ثم مجريسيون"، كما تحدث عند مروره بوادي الرمل عن قصر عرف باسم فأرة، وقال عنه: "... سمي باسم قوم من البربر سكنوه يعرفون ببني فأرة..."[9].

وإذا ما تتبعنا ما ذكره المؤرخون عن البربر ووجودهم في إقليمي برقة وطرابلس، لا نجد عندهم اختلافا عما ذكره الجغرافيون والرحالة من أن البربر جاءوا من أرض فلسطين بالشام، وتفرقوا في البلاد المغربية، فقال ابن الأثير: "... وتفرقوا- عند وصولهم لوبية ومراقية- فسارت زناتة ومغيلة، وهما قبيلتان من البربر، إلى الغرب، فسكنوا الجبال، وسكنت لواته أرض برقة، وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرة، وجلا من كان بها من الروم لذلك..."[10]، وذكر

---

(1) العبدري، الرحلة المغربية، ص 76.

(2) ذكر التجاني أن هؤلاء الخوارج هم بقايا الشرذمة الضالة التي قام بها أبو يزيد بن مخلد بن كيداد في أفريقية. ص 119.

(3) المصدر نفسه ، ص 119.

(4) قال التجاني: كانوا ساكنين قبل ذلك بقصور بن خيار وهي قريبة من جبال مسلاته من شرقي طرابلس، فأجلتهم العرب فانتقلوا إلى هذا الحصن. المصدر نفسه ، ص 85.

(5) نفراوه: وهم بنو نفزاو بن الأكبر بن بر بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار، من ولد نفزاو هذا جالوت ومن نفزاو تفرعت زناته كلها وهم في الأصل عرب. نفسه، ص 43.

(6) المصدر نفسه: ص 43.

(7) تليل: حصن في رأس تل مشرف على البحر= المصدر السابق، ص 210.

(8) التجاني، الرحلة، ص 210-211.

(9) المصدر نفسه، ص 216، 316.

(10) ابن الأثير، الكامل، 13/3.

الدمشقي في مجمل حديثه عن برقة أن"... لهما جبلان: شرقي تسكنه لخم وجذام ومراد، وغربي تسكنه لواته ومزاته وهوارة..."[1]، كما ذكر بأن غدامس سكانها البربر[2].

أما ابن خلدون فإنه يؤكد أن البربر كانوا منتشرين في المنطقة ما بين أفريقية وطرابلس، وقال: "... وأما أفريقية كلها إلى طرابلس فبسائط فيح، كانت ديارًا لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة، ومن لا يحصى من قبائل البربر، وكانت قاعدتها القيروان...، أما بعد دخول العرب أصبح البربر مغلوبون تحت أيديهم، وقد تبدوا معهم، ونسوا رطانة الأعاجم، وتكلموا بلغات العرب، وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم..."[3]، وقال عن برقة: "... وأما برقة فدرست وخربت أمصارها، وانقرض أمرها، وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت دارًا للواته وهوارة[4] وغيرهم من البربر..."[5]، وهو ما يدل على بداية سيطرة القبائل العربية على المنطقة.

وعلى الرغم من حديث ابن خلدون عن انتشار العرب في إقليمي برقة وطرابلس، إلا أنه يتحدث عن وجود العديد من البطون البربرية المنتشرة في المنطقة، فذكر في أثناء حديثه عن قبيلة نفوسة قوله: "...وأما نفوسة فهم بطن واحد، ينسب إليه نفوسه كلها، وكانوا من أوسع قبائل البربر، فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور، وبني مكسور، وماطومة، وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها، وهناك الجبل المعروف بهم، وهم على ثلاث مراحل من مدينة طرابلس، يسكنه اليوم بقاياهم..."[6].

كما تحدث عن وجود بقايا لقبيلة هوارة، وقال: إنهم مازالوا منتشرين في مناطق متفرقة فيما بين برقة والإسكندرية، يعرفون بالمشاينة[7]، وذكر وجودًا لبطون هوارة بمواطنهم الأولى من نواحي طرابلس ظواغن وآهلون توزعتهم العرب من ذياب فيما توزعوه من الرعايا، وغلبوهم على أمرهم منذ أضحى عملهم من ظل الدولة، فتملكوهم تملك العبيد للجباية منهم والاستكثار منهم في الانتجاع والحرب، مثل: ترهونة، وورفلة الظواغن، ومجريس المواطنين بزنزور...، ومن هؤلاء بآخر عمل طرابلس مما يلي بلد

---

(1) الدمشقي، نخبة الدهر، ص 234.

(2) المصدر نفسه: ص 246.

(3) ابن خلدون، العبر، 103/6.

(4) هوارة: يقال: إن أصلهم من البربر، وإن أباهم هوار بن المثنى بن المسور بن يخصب. التجاني، الرحلة، ص 216.

(5) ابن خلدون، العبر، 103/6.

(6) المصدر نفسه: 114/6، 143.

(7) ذكر ابن خلدون أنهم اندمجوا مع العرب وتتطبعوا بعاداتهم وتقاليدهم ويوجد منهم العديد من القبائل مثل: وينفن- قيصرون- بنصورة- بني سليم. العبر، 141/6-142.

سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراته، لهم كثرة واعتزاز، ووضائع العرب عليهم قليلة، ويعطونها من عزة، وكثيرًا ما ينقلون في سبيل التجارة ببلاد مصر والإسكندرية، وفي بلاد الجريد من أفريقية وبأرض السودان إلى هذا العهد..."[1]، وتحدث القلقشندي عن وجود البربر في مدينة غدامس[2]، كما تحدث عن العديد من بطون البربر وقبائلهم، فقال عن بنو زناته بأنهم: "... بطن من لواته من البتر من البربر، ومساكنهم مع هوارة فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة ببرقة..."[3]، وذكر هوارة بقوله: "... إن منازلهم بالديار المصرية وبالبحيرة ومن الإسكندرية غربًا، إلى العقبة الكبيرة من برقة، ولم يزل الأمر على ذلك إلى آخر المائة السابعة...، حتى غلبتهم على البحيرة زناتة وحلفاؤها..."[4]، ويقول المقريزي عن قبيلة هوارة: "... بأنها تتناسب بطونها كما تتناسب العرب، وأصل ديارهم من آخر عمل سرت إلى طرابلس، ثم قدم منهم طوائف إلى أرض مصر، ونزلوا بلاد البحيرة..."[5].

ثانيا– العرب:

هم ثاني العناصر السكانية المكونة للمجتمع في إقليمي برقة وطرابلس، منذ القرن الثالث الهجري وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ولا يتأتى الوقوف على السكان العرب إبان هذه الفترة إلا بالرجوع إلى بداية الفتح الإسلامي[6]، فمنذ أن أصبحت المنطقة تابعة للخلافة الإسلامية في المشرق، كانت الجيوش العربية تتوالى عليها لمواجهة الثورات والحركات الخارجية[7]، مما ترتب عليه إقامة الكثير من القبائل الوافدة ضمن هذه الحملات على أرض المغرب، يضاف إلى ذلك تلك الهجرات الفردية والجماعية من العرب والقاصدة بلاد المغرب للإقامة بها بعد أن أصبحت قطراً إسلامياً[8].

ويحدثنا اليعقوبي عن العرب في هذه المنطقة، ويذكر استقرارهم في مناطق متفرقة من برقة وطرابلس، ويعين انتماءاتهم إلى أي قبيلة في دقة، فقال في مجمل حديثه عن برقة: هناك "... جبلان أحدهما يقال

(1) ابن خلدون، العبر، 142/6.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 103/5.

(3) القلقشندي، قلائد الجمان، ص 175. كذلك: القلقشندي، نهاية الأرب، ص 274.

(4) القلقشندي،، قلائد الجمان، ص 168. كذلك: القلقشندي، نهاية الأرب، ص 441.

(5) المقريزي، البيان والإعراب، ص 106-112.

(6) صلاح عثمان، الحياة الاجتماعية والثقافية في برقة وطرابلس، ص 119.

(7) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 200، ابن الأثير، الكامل، 309/3، ابن خلدون، العبر، 10/3-11، ابن عذاري، البيان المغرب، 23/1.

(8) حسن علي حسن، تاريخ المغرب العربي، مكتبة الشباب (القاهرة)، ص 292.

له: الشرقي، فيه قوم من العرب الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم من أهل اليمن، والآخر يقال له: الغربي، فيه قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب..."[1]،كما تحدث عن مدينة الرمادة (من واحات الجنوب الليبي)، وذكر أن بها قوماً من العرب من بليّ وجهينة وبني مدلج وأخلاط من الناس[2]، وتحدث عن ودان وقال إن بها "...قوماً مسلمين يدّعون أنهم عرب من يمن، وأكثرهم من مزاته، وهم الغالبون عليه"، وفي ذكره لزويلة قال: "... وبها أخلاط من أهل خراسان من البصرة والكوفة..."[3].

أما طرابلس ونواحيها فمع أن اليعقوبي لم يذكر صراحة نزول عرب في إقليمها إطلاقًا، إلا فيما يوحي به بعبارته: أهلها أخلاط من الناس، الأمر الذي يدل على أن التواجد العربي بين هذه الأخلاط– غير قليل، خاصة أن مدينة طرابلس ثغر هام حرص المسلمون على تحصينه بإقامة الجند العربي والحاميات وغيرها– أمر ضروري، ولعل ما صرح به المنجم بأن طرابلس أهلها من قريش نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان لأبلغ دليل على وجود العرب في هذا الإقليم منذ تلك الفترة[4].

وفي منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عرفنا كيف طرأت على العلاقات بين السلطة المركزية في القاهرة– وممثلها في أفريقية المعز بن باديس– حالة من التوتر والخلاف، دفعت بالخليفة الفاطمي إلى الإقدام على اتخاذ قراره الخطير بتوجيه تلك الموجة الكبرى من عرب بني هلال وبني سُليم ضد القيروان، فتدفقت هذه القبائل ببطونها وأفخاذها إلى برقة وطرابلس؛ فأفريقية وبلاد المغرب، فغيرت من معالمه وصبغته بهذه الصبغة العربية الخالصة في برقة، والغالبة في طرابلس وتونس وبقية بلاد المغرب منذ ذلك التاريخ[5].

وقد تحدث العديد من الجغرافيين والرحالة على وجود العرب في إقليمي برقة وطرابلس، وانتشارهم في مختلف المدن، فذكر البكري أن مدينة ودان: "... قلعة حصينة وهي مدينتان، فيها قبيلتان من العرب

(1) اليعقوبي، البلدان، ص 181 كذلك: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 343، ونقل عنه: المسبحيّ، أخبار مصر في سنتين، ص 48.

(2) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 181، الحميري، الروض المعطار، ص 268.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص183، ابن رستة، الأعلاق النفيسة ، ص 343.

(4) المنجم، أكام المرجان، مخطوط، ص 26. كذلك: المنجم، أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1988م)، ص 96.

(5) محمد مصطفى بازامة، تاريخ برقة في العهد العثماني الأول، ص 77.

سهميون وحضرميون..."[1]. كما ذكر البكري في معجمه أن ودان مدينة في حيز برقة، يسكنها قوم من العرب..."[2]، ويشير صاحب كتاب الاستبصار إلى وجود عمائر كثيرة للعرب في حديثه عن الطريق الممتد بين الإسكندرية إلى سرت[3]، كما ذكر أن هناك قبيلة عربية تدعى سُليم، منقطعة في صحراء طرابلس، تعيش على تمر هذه الواحات[4].

ويحدثنا الإدريسي عن وجود طائفة كبيرة من العرب في إقليم برقة بقوله: "... وكل هذه الأرضين– التي ذكرناها– ملك بأيدي العرب، فمن قصر العطش إلى قافز هي لناصرة وعميرة، وهما قبيلتان من العرب...، وقصر طلميثة حوله قبائل رواحة من جهة المغرب، ومن طلميثة إلى جهة المشرق قبائل هيب..."[5]، ويؤكد المراكشي انتشار قبائل الأعراب من بني سُليم بين الإسكندرية وطرابلس الغرب بقوله: "... واستوطنها الأعراب من سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان وغيرهم، فهم اليوم بها..."[6]، كما قدم ابن سعيد معلومات غزيرة عن وجود العرب بكثرة في مدن برقة وطرابلس، وذكر بأن مجالات العرب ممتدة من الفيوم إلى أجدابية، كما ذكر بأن مجالات العرب من دياب ممتدة من "...حد قابس إلى بئر السدرة ببرقة، وبعد لبدة يأخذ البحر في الدخول، وعلى ساحله هنالك عمائر لبطون من هوارة تحت حفاوة دياب، وفي آخر صعود البحر إلى الجنوب يكون قصر أحمد، وفي عرضه قصور مسراته، وأهلها من هوارة تحت حفاوة دياب...، فأول ما يلقاك من حد برقة جون رديق، وشرقيه بئر السدرة أول مجالات هيب إلى العقبة الصغيرة من أرض الإسكندرية، ويقع في دخلة البر بين جون رديق ورأس التين طلميثة، وهي فرضة مشهورة هنالك، وبها قصر فيه اليهود الذين تحت خفارة العرب..."[7].

---

(1) البكري، المسالك والممالك، 658/2 –659 وقد نقل هذا النص حرفيا كل من: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 366/5، القزويني، آثار البلاد، ص 280، الدمشقي، نخبة الدهر، ص 239.

(2) البكري، معجم ما استعجم، 1375/2.

(3) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 109.

(4) المصدر نفسه: ص 146.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، 309/1، 313–315.

(6) المراكشي، المعجب، ص 249.

(7) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 128،ص 146، كذلك: ابن سعيد، بسط الأرض، ص 62–80.

ويشير ابن سعيد إلى أن مدينة درنة كانت من مدن برقة المذكورة، فخرّ بها العرب، وهي الآن محسوبة من قصور العرب التي يأوي إليها اليهود ووكلائهم..."[1].

وقد تحدث التجاني عن وجود العرب في برقة وطرابلس وقال: "... إنهم أمم لا يحصون فيما بين طرابلس وبرقة..."[2]، وإن هذا النص لدليل قاطع على مدى انتشار وكثرة هذه القبائل في الإقليمين.

والمتتبع لنصوص رحلة التجاني، يجد العديد من الإشارات إلى بطون وأفخاذ قبائل بني سُليم، المنتشرين في كل إقليم طرابلس، والمناطق المجاورة له، فذكر منهم بنو يزيد وقال إنهم "... أربعة أفخاذ دياب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة لا إلى رجل متسم بيزيد، وهم: الصهبة[3]، الحمارنة[4]،الخرجة[5]، الأصابعة[6]..."[7]، ويذكر التجاني عند دخوله أرض زعب بأنها قبيلة تنتسب إلى زعب الأصغر بن زعب الأكبر بن جرو بن مالك يجتمعون مع دباب في هذا المعنى[8]، كما ذكر التجاني وجود قبيلة أولاد سهيل، وقال عنهم: "... إنهم قوم من العمور، والعمور فخد من الوشاحين، ينتسبون إلى عمور ابن وشاح أخ جارية بن وشاح أخي المحاميد، ولهم أخ رابع اسمه جواب، وهو أبو الجواوية، وقبيلا العمور والجواوية في زماننا هذا لم يبلغ من كثرتهم أن تقوم كل قبيلة منهما بنفسه، فهم تابعون لإحدى قبيلتي إخوتهم الجواري أو المحاميد، وقد كانت قبل هذا لهم بهذه الأرض صولة، ساعدتهم فيها من الأيام دولة، ثم أخمد الدهر ذكرهم، وطوى أمرهم، وهم الآن تابعون للجواري...، وذكر التجاني أولاد سنان: وهم إخوة الوشاحيين[9]، والنوائل وهم بنو سنان بن عامر بن جابر، وعامر هو أبو وشاح

---

(1) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 147، ابن سعيد، بسط الأرض، ص 80-81.

(2) التجاني، الرحلة، ص 220.

(3) الصهبة: بسكون الهاء فبنو صهب بن جابر بن قائد بن رافع بن دباب.

(4) الحمارنة: فبنوا حمران بن جابر إخوتهم.

(5) الخرجة: بسكون الراء- فجماعة من آل سليمان بن رافع بن دياب، أخرجهم بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا إلى مخالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم هذه توزر وكانت أرضهم أرض مسلاته وما قارب منها.

(6) الأصابعة: فهم ينسبون إلى رجل كانت له أصبع زائدة ودياب يطعنون عليهم نسبهم ويذكرون أنهم خارجون عنهم. التجاني، الرحلة، ص 134، ونقل عنه ابن خلدون، العبر، 6/85-86.

(7) التجاني، الرحلة، ص 134، ابن خلدون، العبر، 6/85-86.

(8) التجاني، الرحلة، ص 141.

(9) الوشاحون: هم الذين أسسوا دولة بني ثابت في طرابلس ولتتبع أخبار هذه الدولة ينظر. إدريس حمودة، إمارة بني ثابت في طرابلس الغرب (724-755هـ/772-803هـ)، كذلك: محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي (القاهرة، 2001) المجلد الثالث، ص 13.

ونائل للنوائل، فبنو سنان يتداعون مع الوشاحين في عامر أبيهم"[1]، وذكر التجاني في مجمل حديثه عن قرية تاجوراء أن سكانها ينتسبون إلى حميد بن جارية أبي الجواري، ويدعون أنهم من العرب، وينتسبون إلى تميم، ويذكرون أنهم سكنوا الأرض المعروفة بأرض عبد ربّ من حين الفتح الإسلامي، ثم نقلهم منها حميد بن جارية إلى هذه القرية[2].

ويذكر ابن فضل الله العمري تفصيلاً دقيقًا لعديد من قبائل بني سُليم التي دخلت برقة وطرابلس، وانتشرت انتشارًا كبيرًا في مختلف مدن وقرى الإقليمين، فيقول عن بني سُليم: "...– وهم أكبر قبائل قيس– مساكنهم ببرقة ممّا يلي الغرب، ومما يلي مصر، وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد، والإمرة فيهم في أولاد عزاز بن مقدم، وبنوه زايد وحميد وزيان..."[3]، وذكر ابن فضل الله لبيد وقال عنهم: "... هم جماعة سلام، فزارة، مأرب، قطاب، الزعاقبة، بشر الجواشنة، النفاحة، القنائص، أولاد سليمان، ومنازلهم من العقبة إلى سوسة..."[4]، كما ذكر جماعة جعفر بن عمر المشهورين في برقة وطرابلس بالجعافرة، وقال عنهم: "... هم قبيل المشاينة، اليامة، عرعرة العظمة، العكمة، المزابيل، المعزة، ومن جملة هؤلاء المعزة الجعافرة جماعة جعفر ابن عمر، ومنهم البداري أيضًا، وكذلك منهم السهاونة، والجلدة منهم أيضًا، كذلك منهم أولاد أحمد أيضًا، ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة وهي آخر حدود الديار المصرية، ومسافتها عن الإسكندرية نحو شهر بسير القوافل، ثم منها طيموم العلاونة– وهم غير أولئك– المهاملة بنو بدر ناصرة، وهم إلى قصر ابن أحمد في طرف مسراتهم من الساحل، ومن القبلة أرض فزان وودان، وحكمها لأرض البرنو السودان، ومسافة ما بين بئر السدرة وبين مسراته عشرة أيام، ومنهم من أرض مسراته بلاد طرابلس آل سليمان جماعة غانم بن زايد، ولهم الأرض من مسراته إلى باب مدينة طرابلس..."[5]، وتحدث ابن فضل الله عن قبيلة دباب، وذكر منازلهم وأصولهم فقال: "... ثم من طرابلس إلى قابس دباب، وهي تجمع المحاميد والجواري جماعة عبد الله بن صابر ومغرم بن صابر، وليسا بأخوين، بل هم بنو عم من القبيلة...، ودباب شيخهم لعبد الله

(1) التجاني، الرحلة، ص 212-214.

(2) المصدر نفسه، ص 307-308، كذلك: محمد السنوسي الغزالي، السبك الحديث في تاريخ برقة القديم , ص 177.

(3) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار (2001) 214/4.

(4) المصدر نفسه: 214/4.

(5) المصدر نفسه، 215/4.

ابن رفيفة وأخيه إبراهيم، وأصلهم من سُليم وأرضهم من طرابلس إلى قابس، ويجاورهم في هذه الأرض الجواري والمحاميد وشيخ الجواري عبد الله بن سعيد، وشيخ المحاميد عطية بن سعيد..."[1].

ومن خلال العرض السابق لنصوص الجغرافيين والرحالة، يتضح أن قبائل العرب المهاجرة من الصعيد نحو المغرب قد انتشرت بشكل كبير، ويبدو أن قبائل بني سُليم كان لها نصيب في إقليمي برقة وطرابلس أكثر من بني هلال، التي يبدو أنها استمرت في زحفها نحو القيروان وبقية المغرب، واستقرت هناك في مناطق متفرقة منه، وهو ما أكده ابن خلدون في حديثه عن هجرة بني هلال إذ قال: "... وتقارعوا على البلاد فحصل سليم على الشرق وهلال الغرب...، وأقامت لهيب وأحلافها رواحة وناصرة وعمرة بأرض برقة، وسارت قبائل دياب وعوف وزعب وجميع بطون هلال إلى أفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى أفريقية سنة ثلاث وأربعين...، واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة ست وأربعين، وكان لزعبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية، فكان لهلال من تونس إلى الغرب، وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والإثبج والخلط وشعبان، وتصرم الملك من يد المعز..."[2].

ويتفق المؤرخون والمهتمون بدراسة أنساب العرب وتوزيعها مع ما ذكره الجغرافيون والرحالة، في كون أن بني سليم كان لهم نصيب الأسد في برقة وطرابلس، وقد أفاض العديد منهم في الحديث عن ذلك، فذكر ابن خلدون أن العرب كانت لهم مجالات متفرقة في إقليمي برقة وطرابلس[3]، على الرغم من أنه اعتمد في كثير من الأحيان على ذكر هذه القبائل على التجاني، إلا أنه يعتبر أبرز من تناول أنساب العرب وقبائلهم في شمال أفريقية بصفة عامة، وبرقة وطرابلس بصفة خاصة[4].

ويحدثنا القلقشندي عن قبائل بني سليم بإسهاب، ويبدو أنه اعتمد في الكثير من نصوصه على سابقيه من الجغرافيين والمؤرخين، ومع ذلك فقد صنف قبائل بني سُليم إلى العديد من البطون والأفخاذ، وقال: فمن سُليم هؤلاء لبيد ببرقة، وهم بطون كثيرة العدد، وهم خلق كثير لا يكاد يحصى عدد لهم[5]، ومساكنهم أرض برقة، ولهم أفخاذ متسعة، أخبرني مخبرون من غيرها بعدة أحياء، منهم: أولاد سلام-

---

(1)ابن فضل الله العمري , المصدر السابق، 216/4

(2) ابن خلدون، العبر، 14/6-15.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص 43، كذلك: ابن خلدون، العبر 305/2-306، 309.

(4) يمكن مقارنة ذلك بما جاء في رحلة التجاني،ص 134، ابن خلدون، العبر، في صفحات متفرقة 5/6، 72- 73، 85-86.

(5) القلقشندي، نهاية الأرب، ص 160.

أولاد سليمان- البركات- البشرة – البلابيس- الجواشنة- الحدادة[1]- الحوتة- الدروع- الرواشد- الزرازير- السبوت- السوالم- الشبلة- الصرايرات- العوالكة- العلاونة- الموالك- النبلة- الندوة- النوافلة- بنو جوش- بنو قطاب- بنو لبيد[2].

كما ذكر القلقشندي من قبائل بني سُليم بنو عوف، وقال: إن منهم في برقة إلى الغرب أعداد لا تحصى[3]، وقال: "... من سُليم- أيضًا- دياب، وأرضهم بين قابس وطرابلس من بلاد المغرب، وأن مساكنهم ما بين قابس وبرقة مجاورين لهيب، ومن بطونهم دباب بن بهثة بن سُليم الجواري، والمحاميد..."[4]، ومن سُليم- أيضًا- بنو هيب، ذكرهم القلقشندي وقال: "... مساكنهم من السدرة في برقة إلى العقبة الكبيرة ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية..."[5]، وقال: من سليم- أيضًا- محارب وديارهم ببرقة في المشرق مِن بني أحمد المجاورين لبلاد المغرب إلى العقبة الكبيرة وإلى العقبة الصغيرة..."[6]، ومن البطون العربية التي ذكرها القلقشندي (صبيح) من فزارة من العدنانية، ومنازلهم ببلاد برقة، وهم فرق كثيرة منها: الجماعات- الشعوب- الشنفة- العقيبات- العواسي- الغشماشمة- القيوس- اللواحق- المسادرة- المطارنة- المقادمة- المواسي- النحاحسة[7]، ومنها: بنو سلمان، وقال إنهم: "... بطن من بهثة بن سُليم من العدنانية، وذكر منازلهم بين فزارة ودودان والجواري بين طرابلس وقابس من بلاد المغرب..."[8]، كما ذكر بنو رواحة، وجعلهم بطن من غطفان من العدنانية، ومساكنهم بلاد برقة في بلاد هيب[9]، وبنو نفزاوة: وهم بطن من غطفان من قيس عيلان من

(1) هناك دراسة وافية عن قبيلة الحدادّة قدمها الباحث: فيصل مفتاح الحداد الحشاني، الأصول العرقية للحشاني الحداد، منشورات المؤلف (بنغازي، 2000م).

(2) لمزيد من المعلومات حول هذه القبائل ينظر: القلقشندي، نهاية الأرب، صفحات: 116،120، 122، 123، 130، 132، 134، 136، 137، 138، 139، 141، 154، 160، 223، 400، 410، وكذلك: القلقشندي، قلائد الجمان، ص 125.

(3) القلقشندي، قلائد الجمان، ص ص 126-127.

(4) القلقشندي، نهاية الأرب، ص 123.

(5) المصدر نفسه: ص 292.

(6) القلقشندي، قلائد الجمان، ص 128. كذلك: نهاية الأرب، ص 415.

(7) القلقشندي، نهاية الأرب، صفحات: 116، 123، 139، 148، 154، 156، 157، 159، 160، 161، 313.

(8) المصدر نفسه: ص 292.

(9)القلقشندي, المصدر السابق، ص 266.

العدنانية، مساكنهم بجوارهيب من إقليم برقة[1]، وبنو فزارة وكانت منازلهم فزارة بنجد ووادي القرى، ولم يبق بنجد أحد، ونزل جيرانهم من طي مكانهم بأرض برقة من طرابلس، منهم: قبائل رواحة وهيب وفزان وسمح ومرة وسعد[2]، وبنو سماك: وهم بطن عدهم الحمداني في عرب البحيرة، وما بين برقة إلى العقبة الكبيرة، ولم ينسبهم في قبيلة[3]، وبنو عقبة، وهم بأفريقية من بلاد المغرب، منهم بقية بنواحي طرابلس[4]، كما ذكر القلقشندي قبيلة بنو بعجة، وقال:إنهم بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية، ومنازلهم فيما بين مصر وأفريقية[5].

ويحدثنا- أيضًا- المقريزي عن بني سُليم ومساكنهم وقبائلهم المتوزعة ببرقة وطرابلس فيقول: "... ومساكن سُليم هذه ببرقة مما يلي مصر، وكانت في عالية نجد بالقرب من خيبر، ومنها صرة بني سُليم، ثم تحولوا إلى مصر وأفريقية، ولم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم، وصار لهم بأفريقية عدد عظيم، فمنهم بها: بنو شريد، وبنو زعب بن مالك بن بهثة، كانوا بين الحرمين فصاروا إلى أفريقية في جوار إخوانهم بني دباب بن مالك، ثم صاروا في جوار بني هيب [كعب] [6]، ومن سليم بنو دباب بن مالك، ينزلون ما بين قابس وبرقة، وهم ببرقة بجوار هيب، ومنهم بنو سليمان [سليم] بن دباب في جهة فزان وودان، ورؤساء دباب الآن ما بين طرابلس وقابس، وبينهم بنو صابر والمحاميد بنواحي قابس، وبينهم في بني رحاب بن محمود..."[7].

وذكر المقريزي بنو هيب بن بهجة إخوة عوف بن بهثة وقال: "... بأن منازلهم ما بين السدرة من برقة إلى حدود إسكندرية، وبنو أحمد منهم بأجدابية، لهم عدد يرجعون إلى شماخ ولها العز في هيب..."[8].

(1) نفسه ، ص 432.

(2) المصدرالسابق : ص 392، كذلك: القلقشندي، قلائد الجمان، ص113.

(3) القلقشندي، نهاية الأرب، ص 296.

(4) القلقشندي، نهاية الأرب، ص 364.

(5) المصدر نفسه، ص 177.

(6) المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المنعم ضيفي، وعثمان عبد النعيم، المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة، 2006م) ص111، وقد ذكر بنو كعب هؤلاء ابن العربي أثناء نزوله عندهم في برقة = المقري، نفح الطيب، 238/3 كذلك: المقري، أزهار الرياض، 89/3.

(7) المقريزي، البيان والإعراب، ص 111.

(8) المصدر نفسه: ص111.

كما وصف المقريزي الطريق فيما بين برقة والعقبة الكبيرة بأن بها أولاد سلام[1]، وذكر بأن ببرقة أحياء لبني جعفر وكان شيخهم أبو ذئب[2].

ومن النصوص السابقة، يبدو أن الجغرافيين والرحالة والمؤرخين قد اتفقوا على أن إقليمي برقة وطرابلس كانا– خلال فترة الدراسة– يعجان بأعداد لا تحصى من القبائل العربية السُّليمية، كما أن هذه النصوص أعطت وصفًا دقيقًا لبطون وأفخاذ هذه القبائل ومناطق توزيعها وسكنها في مختلف مدن وقرى الإقليمين.

ثالثا– النصارى:

ذكر ابن خلدون أن الذين أطلق عليهم العرب اسم الروم، لم يكونوا رومًا بيزنطيين في الأصل، وإنما كانوا من الفرنجة، أي: من سكان إيطاليا وفرنسا، وأن الفرنجة هم الذين ولوا أمر أفريقية، ولم يكن للروم شيء فيها من ولاية، وإنما كان كل من كان منهم بها من جند الإفرنج ومن حشودهم، وأن ما يسمع فيكتب الفتح من ذكر الروم في فتح أفريقية فمن باب التغليب؛ لأن العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الإفرنج، وما قاتلوا في الشام إلا الروم، فظنوا أنهم الغالبون على أمم النصرانية[3].

ومع أن الإسلام كان قد انتشر في معظم أرجاء المنطقة عقب الفتوحات الإسلامية لها، إلا أنه ظلت العديد من الجيوب تعتنق المسيحية واليهودية، ومن أهمها وجود جالية من النصارى في قرية تاكنست، وهي على بعد خمسين ميلاً شرقي مدينة برقة[4], (المرج حاليا)، هذا بالإضافة إلى أكثرية من النصارى والأقباط بمدينة أجدابية[5]، وأقباط يتكلمون لغة غريبة في مدينة سرت، وآخرون حول مدينة طرابلس[6].

(1) أولاد سلام: ينسبون إلى لبيد بن علي بن هبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر، وهم ثلاثة أخوة: لبيد وزبيد وحديد بنو علي بني وهبة بن جعفر، ومن حديد محارب، ويقال: أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار، وقيل لبيد من سُليم، وفيهم هيب ورواحة وفزارة، وهؤلاء يقال أنهم من غطفان والله أعلم الصواب= المقريزي، البيان والإعراب، ص 113,

(2) بنو جعفر: ينسبون في العرب فتارة لكعب بن سُليم، وتارة في فزارة والصحيح أنهم ينسبون إلى مسراته إحدى بطون هوارة= المصدر السابق، ص 113.

(3) ابن خلدون، العبر، 214/6، كذلك: صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح، ص 181، محمد بازامة، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، دار مكتبة الفكر، ضمن سلسلة تاريخ ليبيا– الجزء الأول، ص 55.

(4) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص 222.

(5) البكري، المسالك والممالك، 651/2، الاستبصار، ص 144، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1.

(6) البكري، المسالك والممالك، 652/2-653.

ومن خلال كتابات الجغرافيين والرحالة، نستخلص وجود هذه الفئة في مناطق متفرقة من برقة وطرابلس، فيذكر اليعقوبي- من خلال حديثه عن وادي مخيل ومدينة طرابلس- وجود أخلاط من الناس[1]، وهو ما يؤكد وجود بعض الروم والأقباط بينهم، كما ذكر أن لبرقة أقاليم كثيرة ولها من المدن برنيق "... وأهلها قوم من أبناء الروم القدم..." [2]. ويذكر ابن رسته في حديثه عن الرمادة أن بها قوما من العجم القدم[3]، وهو ما يدل على وجود هذه الفئة من الروم في مناطق متفرقة من إقليم برقة وطرابلس منذ القرن الثالث الهجري.

وإذا ما تتبعنا ما كتبه الجغرافيون والرحالة- خلال فترة الدراسة- وجدنا عندهم ذكرًا للروم والأقباط، فالبكري في مجمل حديثه عن أجدابية يذكر أن أهلها أكثرهم أقباط[4]، كما تحدث عن أطرابلس وقال: "وحولها أقباط في زي البربر كلامهم بالقبطية..."[5]، وهو نصٌ صريح بوجود الروم والأقباط بأعداد كبيرة حول مدينة طرابلس وما جاورها من قرى، ويبدو أن صاحب كتاب الاستبصار قد نقل ما ذكره البكري في حديثه عن أجدابيه ووجود الأقباط بها[6]، كما ذكر قوله: "... وفي بعض مدن الواحات قبائل لواته، وإنما أهلها أقباط..."[7].

ولا يختلف المؤرخون عن الجغرافيين والرحالة في وجود الروم في مناطق متفرقة من نواحي برقة وطرابلس، فهذا ابن عبد الحكم الذي يعد من مؤرخي القرن الثالث الهجري يحدثنا عن وجود بقايا الروم في مدينة سبرة(8)، وهو ما يؤكده ابن الأثير وابن سعيد أثناء حديثهما عن هذه المدينة، ودخول البربر إليها، فذكر ابن الأثير قوله: "... وسكنت لواته أرض برقة، وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت، وجلا من كان بها من الروم لذلك..."[9]، ويقول ابن خلدون في حديثه عن وجود

(1) اليعقوبي، البلدان، ص 180، 184، كذلك: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 346.

(2) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 181، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 343.

(3) ابن رسته، المصدر السابق، ص 342 ونقل عنه ذلك: الحميري، الروض المعطار، ص 268.

(4) البكري، المسالك والممالك، 651/2.

(5) المصدر نفسه: 653/2.

(6) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 144.

(7) المصدر نفسه: ص 146 ونقل عنه ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1.

(8) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص ص 27-29.

(9) ابن الأثير، الكامل، 13/3، كذلك: ابن سعيد، المغرب، ص 44.

بقايا الروم في إقليمي برقة وطرابلس: "وكانوا من الفرنجة من سكان إيطاليا وفرنسا..."[1]، وهو ما يؤكد وجود الروم والإفرنج، وإن كانت أقليةً مقارنة بالأعداد الهائلة من البربر والعرب المنتشرين في مختلف أرجاء الإقليمين.

رابعا– الأفارقة:

هم أخلاط مجتمعون من أمم شتى، وهم بقايا أمم قديمة، وعناصر بربرية فرنجية، تجمعها صفة الخدمة[2]، أي: العمل في المزارع والحرف[3]؛ ولذلك فهم يمثلون طبقة العامة في مختلف المرافق[4]، وهو مايؤكده ابن عبد الحكم بقوله: "... وأقام الأفارق– وكانوا خدمًا للروم– على صلح يؤدونه إلى أن غلب على بلادهم..."[5]، ويذكر اليعقوبي أن البربر والأفارقة: "...هم أولاد فارق بن بيصر بن حام ابن نوح، لما ملك إخوانهم بأرض مصر... خرجوا نحو المغرب..."[6]، وهو ما يوحي بالصلة بين البربر والأفارقة. ويقول ابن خرداذبة: إن قابس مدينة الأفارقة الأعاجم[7]، مما يرجح وجود أفارقة غير أعاجم، خاصة أن اليعقوبي قد ذكر أن قابسًا يسكنها العجم، وقال: إن المنازل التي بينها وبين طرابلس يسكنها الأفارقة الأول[8]، وهو بذلك يكون قد فرق بينهما، كما أكد بنصه هذا وجود عدد من الأفارقة في إقليم طرابلس.

والمتتبع لكتابات ونصوص الجغرافيين والرحالة والمؤرخين– خلال فترة الدراسة– لا يجد في حديثهم عن مدن وقرى إقليمي برقة وطرابلس أي إشارات توحي بوجود هذا العنصر من السكان، ولكن الإدريسي في مجمل حديثه عن مدينتي قفصه وقابس وأهاليهما، تحدث عن الأفارقة وقال: إنهم كانوا أهل البلاد

---

(1) ابن خلدون، العبر، 214/6.

(2) إبراهيم العدوي، بلاد الجزائر، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1956م)، ص ص91-92.

(3) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير – دراسة تاريخية وعمرانية وآثرية– دار النهضة العربية (بيروت، 1981م) 133/2، كذلك: حسن علي حسن، تاريخ المغرب العربي، ص 9-10.

(4) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص 10، صالح مصطفى، المرجع السابق، ص 182.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 170، كذلك: الأنصاري، المنهل العذب، 28/1.

(6) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 190/1.

(7) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 86. الإدريسي، نزهة المشتاق 297/1.

(8) اليعقوبي، فتوح البلدان، ص 185.

من بقايا البربر، وكانوا يتكلمون باللسان اللاتيني والإفريقي[1]، وهو ما يوحي بوجود أعداد كثيرة منهم في هذه المدن، وهو ما لم يذكره في حديثه عن مدن برقة وطرابلس.

وعلى الرغم من أن كثيرًا من هؤلاء الأفارقة دخلوا الإسلام، فإن الكثير منهم ظلوا يتكلمون لغة خاصة بهم[2]، ربما كانت مزيجًا من اللاتينية والبربرية، أو ربما كانت محلية خاصة بهم[3].

هذا ما ذكره الجغرافيون والرحالة عن الأفارقة، أما المؤرخون فقد أكد ابن الأثير ما ذكره ابن عبد الحكم، وربما يكون قد نقل النص منه بقوله: "... وقام الأفارق- وهم خدم الروم- على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم..."[4]، كما يؤكد القلقشندي ما ذكره اليعقوبي في كون فارق بن بيصر هو أبو الأفارقة، ويضيف القلقشندي على ذلك قوله: "... وحاز فارق بن بيصر ما بين برقة إلى أفريقية، فكان ولده الأفارقة، وبذلك سميت أفريقية وذلك مسيرة شهر..."[5]، وهو ما يدل على أن الأفارقة كانوا منتشرين في مناطق متفرقة من إقليم برقة وأفريقية، خاصة المناطق التي تسكنها الروم، حيث كانوا خدمًا لهم يخدمون الزراعة وبعض الصناعات.

خامسا– اليهود:

سكن اليهود إقليمي برقة وطرابلس قبل الفتح الإسلامي[6]، وكان عددهم قليل جدا، وبعضهم جاء مهاجرًا من فلسطين، ويرجع العديد من الباحثين أسباب هجرتهم إلى هذه المناطق إلى الخراب الذي حل بالقدس في سنة 60م، كما أن القلاقل التي حلت في بعض تجمعاتهم في مناطق متفرقة من العالم، جعلتهم يسعون إلى البحث عن مناطق استقرار جديدة، كان منها هذه المنطقة[7]، وقد انتشر اليهود بين قرى ومدن برقة وطرابلس، واختاروا في ذلك المناطق التي تتناسب وطموحاتهم الاقتصادية[8]،

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، 278/1، 297.

(2) السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، 133/2، كذلك: حسن علي حسن، تاريخ المغرب العربي، ص9-10.

(3) محمود شيت الخطاب، قادة فتح المغرب، 20/1.

(4) ابن الأثير، الكامل، 13/3.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، 352/3.

(6) عبد الرحمن بشير، اليهود في المغرب العربي، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط1 (القاهرة، 2001م)،ص 34.

(7) جون رايت، ليبيا منذ أقدم العصور، ص 49، كذلك: صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح، ص 192.

(8) عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 36.

خاصة في مجال التجارة، حيث اشتهروا بذلك[1]، فعاشوا في المدن الصغيرة والكبيرة والهضاب والمناطق الزراعية[2]، وكثيرٌ منهم عاش بين البربر[3]، وسميت العديد من المدن باسمهم كاليهودية في إقليم برقة[4].
وقد تحدث العديد من الجغرافيين والرحالة عن اليهود، وأماكن تواجدهم في مدن برقة وطرابلس، فذكر البكري في حديثه عن جادوا قوله: "... ويسكنها يهود كثير..."[5]، ويقول ياقوت الحموي عن جادوا ما ذكره البكري من أنها كثيرة اليهود[6]، وهو دليل على انتشار اليهود في مناطق الواحات، جنوب إقليم طرابلس، ويقول صاحب كتاب الاستبصار – مؤكدًا ما ذكره سابقوه – أن جادوا "... في وسط جبل نفوسة وأكثر أهلها يهود، وهي أم قرى جبل نفوسة..."[7]، هذا النص يدل على أن اليهود كانت لهم السيادة على بقية القرى، خاصة من الناحية الاقتصادية والتجارة على وجه الخصوص.
ويحدثنا الإدريسي عن مدينة أجدابية وكثرة اليهود بها بقوله: "... وأهلها الغالب عليهم يهود ومسلمون تجار..."[8].
ويقول ابن سعيد المغربي في مجمل حديثه عن بعض مدن إقليم برقة: "...وطلميثة بها قصر فيه يهود..."[9]، وهو ما أكده أبو الفدا بقوله: "... وطلميثة بها قصر فيه يهود...، وهو على هيئة برج كبير، وعدد اليهود الذين به إلى يومنا هذا ما يزيد على مائتي يهودي..." [10]، كما قال ابن سعيد عند حديثه عن مدينة درنة "... والآن محسوبة من قصور العرب التي يأوي إليها اليهود ووكلائهم..."[11].

---

(1) المرجع السابق، ص 36. وذكر عطا أبو رية بأنه كان هناك يهود بإجدابية يمارسون الزراعة. اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ص 113، كذلك: ابن خلدون، العبر، 72/6.

(2) عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب، ص 26.

(3)Hirisberg, Ahistory of the jems in North Africa, V.I, Leiden, 1974, p: 134

(4) علل بعض الباحثين بأن من أسباب تسمية هذه المنطقة باليهودية راجع إلى أنها كانت مسكونة باليهود. محمد ناجي، طرابلس الغرب، ص 129.

(5) البكري، المسالك والممالك، 656/2.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 92/2.

(7) مجهول، كتاب الاستبصار، ص 144.

(8) الإدريسي، نزهة المشتاق، 311/1، الحميري، الروض المعطار، ص12.

(9) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 146، كذلك: ابن سعيد، بسط الأرض، ص 80.

(10) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص 149.

(11) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص 147، كذلك: بسط الأرض، ص 80.

أما المؤرخون فقد تناولوا بالحديث اليهود، وذكروا أنهم كانوا موجودين في مدن برقة وطرابلس، لكن عددهم لا يتجاوز المئات، فقال ابن الفرات- في حديثه عن حوادث سنة 672هـ/1273م-: إن مدينة طلميثة "...أكثر أهلها كانوا يهودًا..."[1]، ويقول المنصوري عن برقة: "... بأن أكثر أهلها يهود..."[2]، ويقول الدمشقي عن مدينة طلميثة- أيضًا- إنها "... قصر يسكنه اليهود..."[3]، ويؤكد البغدادي ما ذكره سابقوه من الجغرافيين والرحالة من أن مدينة جادوا بها يهود كثيرون[4]، ويحدثنا ابن خلدون عن وجود اليهود في إقليم برقة، وأنهم كانوا خدمًا لبني سُليم، بقوله: "وجميع بطون هيب هذه استولت على إقليم طويل خربوا مدنه، ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخهم، وفي خدمتهم بربر ويهود يحترفون الفلاحة والنجارة..."[5]، مما يدل على احتراف اليهود لهذه المهن في هذه المنطقة.

ومن خلال النصوص السابقة، نجد اتفاقاً بين الجغرافيين والرحالة والمؤرخين على أن اليهود كانوا موجودين في مناطق برقة وطرابلس بكثرة، ولكنهم كانوا تابعين وتحت خفارة العرب، كما يمكن ملاحظة استقرار اليهود في مدن جادوا، أجدابية، طلميثة، درنة، برقة، وهي تمثل مراكز لمحطات القوافل البرية من ناحية، ومراسٍ لتجارة البحر من ناحية أخرى، مما جعلها تكتسب أهمية تجارية من خلال وقوعها على الطريق الساحلي، بين الإسكندرية وبرقة، وهو الطريق التجاري الذي يربط بلاد المغرب بمصر وشرق العالم الإسلامي، مما جعلها مناطق جذب اقتصادي لليهود الذين برعوا واحترفوا ممارسة التجارة منذ أقدم العصور.

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، المجلد السابع.

(2) المنصوري، مختار الأخبار، ص 50.

(3) الدمشقي، نخبة الدهر، ص 234.

(4) البغدادي، مراصد الإطلاع، 305/1.

(5) ابن خلدون، العبر، 308/2 / 72/6.

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

– المنجّم، إسحاق بن حسين (من علماء القرن الخامس الهجري).آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، مخطوط موجود في مكتبة زروق بمدينة مصراته– ليبيا تحت رقم "286" تاريخ.

– ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت: 630هـ/1232م). الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3 (بيروت، 1980م).

– الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله الشريف (ت: 560هـ/1166م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1989م).

– الأنصاري، أحمد بك النائب (ت: 1335هـ/1916م). المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني (طرابلس)، جزءان.

– البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ/ 1338م). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1 (1954م).

–البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م). المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب (تونس، 1992م)، جزءان.

ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب (بيروت).

– البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/ 892م). فتوح البلدان، تصحيح: عبد القادر محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية (بيروت، 2000م).

– التّجاني، أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد (ت: حوالي 717هـ/1317م). رحلة التّجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1981م).

– ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: 456هـ/ 1064م). جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط3 (القاهرة، 1971م).

– الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة (بيروت، 1975م).

- ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت: 358هـ/ 968م). صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، 1992م).

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: حوالي 300هـ/ 912م). المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت:808هـ/1405م). تاريخ ابن خلدون المسمى (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات (بيروت، 1971م). مقدمة ابن خلدون، منشورات دار ابن خلدون (الإسكندرية).

- الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أبو طالب الأنصاري (ت: 727هـ/1326م). نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى (بغداد).

- ابن رُسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت: كان حيًا مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل (ليدن، 1891م) م7.

- الزُّهري، أبو عبد الله محمد بن أبي الزهري (ت: أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية (بورسعيد).

- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى (ت: 673هـ/1274م). كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (بيروت، 1970م)

- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس (قطوان، 1958م). المغرب في حلى المغرب، تحقيق: زكي حسن وآخرين، مطبعة جامعة القاهرة (القاهرة، 1953م).

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين (ت: 257هـ/870م). فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطّبّاع، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1964م)

- فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل (ليدن، 1930م).

- ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد (ت: 692هـ/1292م). تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك منصور (678-689هـ) تحقيق: مراد كامل، مراجعة: محمد النجار، الشركة العربية للنشر والطباعة، ط1 (القاهرة، 1961م).

- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد الحاحي (ت: خلال 700-720هـ/ 1300-1320م). الرحلة المغربية أو رحلة العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، منشورات جامعة محمد الخامس (الرباط، 1968م).

– ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت: أواخر القرن السابع الهجري/ أواخر الثالث عشر الميلادي). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 (بيروت، 1980م).

– أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت: 732هـ/1330م). تقويم البلدان، تحقيق: رينو، ودي سلان: وألبان ماك كوكين ديسلان (باريس، 1840م).

– ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الحنفي (ت: 807هـ/1405م). تاريخ ابن الفرات "672-682هـ" تحقيق: قسطنطين زريق، منشورات جامعة بيروت الأمريكية، المطبعة الأمريكية (بيروت، 1942م).

– ابن فضل الله العُمري، شهاب الدين أحمد بن يحيي (ت: 749هـ/ 1349م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1985م).

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، وعصام مصطفى هزايمة، ويوسف أحمد بن ياسين: منشورات زائد للتراث والتاريخ (الإمارات، 2001م) ج4.

– القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م). آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1969م).

– القفطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف (ت: 646هـ/1253م

– القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت: 821هـ/1418م). صبح الأعشى، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت، 1987م).

– صبح الأعشى، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

– قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، ط2 (القاهرة، بيروت، 1982م)

– .نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2 (بيروت، 1980م).

– الكرخي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت:349هـ/ 960م)المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني (الجمهورية العربية المتحدة، 1961م).

- المرَاكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت: 647هـ/ 1254م). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط1 (بيروت،1998م).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، إصدارات محمد توفيق عومصيه، الكتاب الثالث (القاهرة، 1963م).
- مجهول، (ت: خلال القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي). الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، آفاق عربية (بغداد، 1986م
- المسبحّي، محمد بن عبيد الله. أخبار مصر في سنتين (414-415هـ) تحقيق: وليم.ج. ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1980م) الجزء الأربعون .
- المقريزي، الإمام تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: 845هـ/1446م).البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المنعم ضيفي وعثمان عبد المنعم , المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة , 2006م) .
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت: 1041هـ/1631م). أزهار الرياض في أخبار عياض، منشورات صندوق أحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، دار الكتاب العربي (بيروت).
- المنجم، إسحاق بن حسين (عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي). آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق: فهمي سعد، عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1988م).
- المنصوري، بيبرس (ت: 725هـ/ 1324م). مختار الأخبار "تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ"، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ط1 (القاهرة، 1993م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: 626هـ/1228م). معجم البلدان، دار بيروت، دار صادر (بيروت، 1979م).
- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب إسحاق بن جعفر (ت: 284هـ/897م). تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت، 1970م).
- – البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر الكتب السنة والجماعة، دار الكتب الوطنية (بيروت، 2002م).

ثانيا: المراجع العربية:

– إبراهيم العدوي. بلاد الجزائر، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1956م).

– إحسان عباس. تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ط1 (بنغازي، 1967م).

– أحمد مختار العبادي. في التاريخ العباسي والأندلسي , دار النهضة العربية (بيروت ,1972م) .

– إدريس حمودة. إمارة بني ثابت في طرابلس الغرب (724-755هـ/1323-1354م) (772-803هـ/1370-1400م) دار ومكتبة بن حمودة للنشر والتوزيع (زليتن، 2004م).

– حسن علي حسن. تاريخ المغرب العربي، مكتبة الشباب، ط1 (القاهرة).

– الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1980م).

– سعد زغلول عبد الحميد.تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1979، 1990م) المجلد الثالث.

– السيد عبد العزيز سالم. المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م).

– شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات ليبيا- تونس- صقلية)، دار المعارف، سلسلة رقم (9) (القاهرة، 1992م).

– -الطاهر الزاوي. تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2 (مصر،1962م).

– عبد الحميد حسين حمودة.تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، ط1 (القاهرة، 2007م).

– عبد الرحمن بشير. اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م) منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1 (القاهرة، 2001م).

– عبد الوهاب بن منصور. قبائل العرب، المطبعة الملكية (1968م).

– عثمان الكعاك. البربر، ضمن سلسلة كتاب البعث رقم (5) (تونس، 1956م).

– عطا الله علي محمد رية .تاريخ المغرب الإسلامي، منشورات مكتبة الرشد (القاهرة، 2007م). اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، أبتراك للنشر والتوزيع (القاهرة، 2005م).

- فيصل مفتاح الحداد الحشاني. الأصول العرقية للحشاني الحداد، منشورات المؤلف (بنغازي، 2000م).

- أبو القاسم محمد كرو، عبد الله شرميط .عصر القيروان، دار المغرب العربي (تونس، 1973م).

- محمد السنوسي الغزالي. السبك الحديث في تاريخ برقة القديم والحديث، مطبعة الأخوان المسلمين، ط1 (القاهرة).

- محمد مختار العرباري. البربر عرب قدامى، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1 (الرباط، 1993م).

- محمد مصطفى بازامة. تاريخ برقة في العهد العثماني الأول، دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي، ط1 (بيروت، 1994م).

- ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، دار مكتبة الفكر، ضمن سلسلة تاريخ ليبيا- الجزء الأول، القسم الأول (طرابلس).

- ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا، ط2 (بيروت، 1975م).

- محمود شيت الخطاب. قادة فتح المغرب العربي، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، ط2 (بيروت، 1966م).

- الهادي المبروك الدالي. قبائل الطوارق (دراسة وثائقية) إصدارات القيادة الاجتماعية في ليبيا (طرابلس، 2006م).

- الهادي الزريبي. أصول البربر العربية، التعاضدية والعمالية للطباعة والنشر (صفاقس، 1989م).

ثالثا- المراجع المعربة:

- إسماعيل كمالي. سكان طرابلس الغرب، تعريب: حسن الهادي بن يونس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 1997م).

- جون رايت. ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، مكتبة الفرجاني، ط2 (طرابلس، 1993م).

- غوستاف لوبان. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي، ط2 (القاهرة).

- محمد ناجي. طرابلس الغرب، ترجمة: كمال الدين محمد إحسان، دار مكتبة الفكر (طرابلس، 1970م).